المبحث الخامس

الإيثار من علامات المحبة

الإيثار من علامات المحبة

الآية الكريمة التي مدح الله تعالى فيها قلوب الأنصار، ووصفهم بأنهم أصحاب قلوب نقية وتقية صادقة، وينصرون الله ﷻ ورسوله ﷺ، هذا المعنى سنجده يتحقق في فقير يتصبر وله قلب نقي وتقي، الأنصار كانوا ينتظرون المهاجرين، حتى يجتمع الإلف مع أليفه، فلا خير فيمن لا يألف، المسلم إلف مألوف، فأنت ترى في وجه المسلم الحب والوداعة والوسامة لا خير فيمن لا يحب الناس، وليس له علاقة بالناس.

كيف أعطى الله ﷻ لسانك وقلبك يا رسول الله ﷺ هذا البيان؟ فالذي ليس له علاقة بالناس، ويضيق صدره بهموم الناس، ولا يتفاعل مع الناس الطيبين ليس في قلبه خير، ويخشى على نفسه، وعلى إيمانه أن يذوب وعلى قلبه من الزوغان، وصف الله تعالى أنصار رسول الله ﷺ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر:٩].

أي: والذين استوطنوا "المدينة" وآمنوا من قبل هجرة المهاجرين، وهم الأنصار يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسدًا لهم مما أُعْطوا من مال الفيء وغيره، ويُقَدِّمون المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقر، ومن سَلِم من البخل، ولم يمنع الفضل من المال، فأولئك هم الفائزون الذين فازوا بمطلوبهم .

إن الله تعالى وصف المهاجرين بأنهم صادقون، والأنصار بأنهم مفلحون، يحبون من هاجر إليهم، بعض الناس عندما يأتي له ضيف يتهرب من الضيف، وهذا يخالف السُّنة فعندما يأتيك الضيف فإن ذلك خير؛ لأن الضيف يأتي

ورزقه معه، فالضيف صاحب الفضل عليك كبعض البيوت ترزق بدخول الضيوف عليهم، لابد وأن يكون عندنا يقين بأن طعام الأربعة يكفي لثمانية، وكل شيء تقسمه مع أخيك المسلم، ودائمًا تعطي الأفضل وتأخذ الأقل: «**تهادوا تحابوا**»[1]، «**لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**»[2]. ولا يجدون في صدورهم حاجة .

فالزوجة المسلمة مهما حدث من مشاكل بينها وبين زوجها لا تنسى فضله عليها، وتقول: ما شاهدت معه خيرًا أبدًا، لا تنسوا الفضل بينكم كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ**﴾ [البقرة:٢٣٧].

أي: ولا تنسوا أيها الناس الفضل والإحسان بينكم، وهو إعطاء ما ليس بواجب عليكم، والتسامح في الحقوق، ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ**﴾، يُرغِّبكم في المعروف، ويحثُّكم على الفضل .

لا تذكروا هذه السوءات، فالشيطان لا يعيش إلا في البيئة التي بها مشاحنات، ويكون هناك شياطين تلعب في البيت، ﴿**وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

أي: والذين جاءوا من المؤمنين من بعد الأنصار والمهاجرين الأولين يقولون: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، واغفر لإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا حسدًا وحقدًا لأحد من أهل الإيمان، ربنا إنك رءوف بعبادك، رحيم بهم، وفي الآية دلالة على أنه ينبغي للمسلم أن يذكر سلفه بخير، ويدعو لهم، وأن يحب صحابة رسول الله ﷺ، ويذكرهم بخير، ويرضى عنهم.

---

(١) موطأ الإمام مالك، كتاب: الجامع، باب: ما جاء فى الهجرة، رقم الحديث: ١٤١٣.
(٢) مسند الإمام أحمد، كتاب: باقي مسند المكثرين، باب: باقي مسند المكثرين، رقم الحديث: ٨٨٣١.

نقاء السريرة، وصفاء القلب، وصورة مشرقة وهم أنصار النبي ﷺ الواحد منهم يعطى لغيره ولا يندم، الذي يعمل خيرًا ويعمل صالحًا ولا يُفكر، فإنك إن وضعته في غير مكانه بمجرد نيتك فهو يحسب لك، الخير في أهله وغير أهله، لو أنهم أناس كرام ومحتاجون، فالحمد لله فإن الله أكرمك وهم يستحقون، فإذا لم يوافق أهله ولم يكونوا يستحقون؛ فأنت أهله لأنك تعطي؛ لأنك تعلمت من رسول الله ﷺ وهذه أحوال الأنصار.

كما قال حبيبنا رسول الله ﷺ، «**أيما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا على عري كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلمًا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم يسقي مسلمًا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم**»[1] كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا**﴾ [الإنسان: ٩].

أي: ويقولون في أنفسهم: إنما نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله، وطلب ثوابه، لا نبتغي عوضًا، ولا نقصد حمدًا ولا ثناءً منكم، هل انتظرت الجزاء من أحد؟ لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا، نقول: فاعل خير.

هذا قلب نقي ليس له مظهرية الإسلام لا يمانع في إبداء الصدقات إن تبدو الصدقات فنعما هي، الناس يقولون: اعمل مثله.

أين قلبك عندما جاهرت بالصدقة؟ هل كان قلبك معلقًا بالملأ الأعلى - بالله تعالى- أم بكلام الناس؟ وماذا يقولون؟ تلك مرتبة لابد أن يعيشها المسلم .

الذي يتصدق بشيء يفرح به، كما في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ**﴾ [الحاقة:١٩].أي: فأمَّا من أُعطي كتاب أعماله بيمينه، فيقول ابتهاجًا وسرورًا: خذوا اقرءوا كتابي، في يوم تكون المعطيات

(١) سنن أبي داود، كتاب: الزكاة، باب: في فضل سقيا الماء، رقم الحديث: ١٤٣٢.

منه، أي الذي تصدق بشيء يفرح به، ويخرج لأهله وهو فرح بعمله، ومن يفعل شيئًا يرتفع به، أين تذهب؟ إما إلى نار وإما إلى جنة.. سبحان الله.

كلما تستر فقيرًا، أو تفرج هم مسلم، أو مسلمة، فإن الله تعالى سيساعدك، ويجبر كسرك، فلتعد إلى أنصار النبي ﷺ، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

فالمسلم عندما يعمل في مكان لا يظهر أنه أفضل الموجودين به، ولكنه يمد خبرته لهم، ولا يكتم العلم من باب المحبة وعلامات الإيمان، وتعطي لأخيك الحب كله، فالنبي العظيم ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[1] من يرى نفسه أفضل الناس يصبح متكبرًا على الله، وعلى خلق الله، وقد أخذ شيئًا من الأبالسة والفراعنة، اعتز بأنه خير منه قال: أنا إله، لابد وأن تؤثر غيرك على نفسك، ولا تكن في صدارة القوم، فمن يحب دائمًا يكون هو الأول والناس وراءه، هذه صفات الجاهلية.

وكنا إذا وردنا الماء صفوًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينا[2]

فهذه أخلاق الجاهلية، أما أخلاق الإسلام فالعطشان أقدمه على نفسي، المسلم بخلاف الأنا، والأنانية، والتكبر فإنك لا تأتي الجنة، لأنه لا يدخلها إلا الأتقياء .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث: ١٣١.
(٢) البيت للشاعر: عمرو بن كلثوم، وهو من أبيات معلقته الشهيرة.

والنبي ﷺ قال: يحذر من التكبر والأنا: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**»[1]. تمنعك من الجنة إن المسلم عندما يصل إلى مرحلة الفهم الصحيح لهذه الحياة يستوي عنده ذهبها مع ترابها.

ما هي لحظة الإيثار في حياتك التي كنت فيها أنصاريًّا، وكان معك شيء فوجدت أخاك في حاجة له، وقلت: أنا أصبر، ولكن أخي لا يستطيع أن يصبر فأعطيها له؛ لأنه محتاج لها أكثر مني.

اللهم إنك تعلم أننا حفاة فاحملنا، وتعلم أننا جياع فأطعمنا .

اللهم طهر قلبنا من النفاق، وعملنا من الرياء،
ولساننا من الكذب، وعيننا من الخيانة.

اللهم، إنك تعلم سرنا وعلانيتنا، فاقبل معذرتنا،
وتعلم حاجتنا فاعطنا سؤلنا.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد عدد ما خلقت
من الجن والإنس، وما أنت خالقه إلى يوم القيامة.

****

(١) سنن الترمذي، كتاب: البر وصلة، باب: ما جاء في الكبر، رقم الحديث: ١٩٢١.